فكر

قدرُ الأفكار أن تتغيّر وهي تعبُر إلى الضفّة الأخرى. لكنّنا نتلقّى أفكاراً غربية متعدّدة في سياقنا العربي بدون سياقها، وكلّما طلبنا التماهي معها كما هي في سياقها، كان الثمن الذي توجَّب دفعُه هو الخروج من سياقنا، أي اغترابنا عنه وعن نبضه ولغته

رشيد بوطيب

في الترجمة الاجتماعية

حين لا نقرأ النصوص الأصلية من خلال أسئلتنا المجتمعية

من يتأمّل الفوضى التي تحكم السياق الثقافي العربي وعلاقاته بالسياقات الثقافية الأخرى، سواء فيما يتعلّق بالأفكار التي يتم نقلها من السياقات الأخرى أو الكتب التي تتمّ ترجمتها أو المدارس الأدبية والفنية التي يتم الانفتاح عليها، لن يتأخّر في الحُكم على سياقنا الثقافي بأنه يتحرّك وفقاً لمنطق التقليد وليس وفقاً لمنطق الواقع، فبدل أن نستورد الأفكار ونترجم الكتب لحاجة ماسة إليها في سياقنا، نقدم على ترجمة ونقل ما تسوّق له الموضة أو ما يسوّق له «الستربتيز» الإعلامي في الغرب.

هذا ما جعل الثقافة العربية مستعصية على الحداثة إلى يومنا، وما يجعلها ثقافة مستهلكة للتقاليد بشكل مرضي، بل إن عقلها السلفي أو التقليدي سيحكم علاقتها بالثقافة الغربية أيضاً، فطبيعة العلاقة ستبقى تقليدية، تابعة أو استهلاكوية. ولما نفكّر في علاقاتنا الثقافية بالغرب، فإنّنا نحتكم أكثر إلى الأيديولوجيا، فنحن لم نؤسّس لمعرفة نقدية بطبيعة هذه العلاقة حتى اليوم، لم ندرس هذه العلاقة، لم نؤسّس لشيء من قبيل علم الغيرية، نحن أحوج إليه من غيرنا، وبلغة أخرى: لقد ظللنا سجناء موقف استقطابي يتحرّك بين مفهومَي التغريب والإصالة، دون إدراك منّا لواقع أنّ التغريب أحياناً قد يكون أكثر أصالة، أو أنه قد يكون أحياناً مجرّد ترجمة للموقف السلفي المتخفّي على ذاته، رغم لغته التي تبدو ظاهرياً حديثة أو مناصرة للحداثة.

يرى عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو في «الشروط الإجتماعية للحركة الدولية للأفكار» أنّ أشكال التبادل الدولية للأفكار «تخضع لنوع من العوامل البنيوية المولّدة لسوء الفهم»، وهو يعني بذلك خصوصاً واقع «أن النصوص تنتقل في استقلال عن سياقاتها». وسيذوّه في السياق نفسه بما قاله ماركس في «البيان الشيوعي» من أن «المفكّرين الألمان فهموا دائماً، وبطريقة سيّئة جدّاً، المفكّرين الفرنسيّين، لأنهم كانوا يتلقّون نصوصاً هي بنت ظروف سياسية على أنها نصوص خالصة، ويحوّلون الفاعل السياسي، الذي يمثّل أساس هذه النصوص، إلى ذات مفارقة».

وسيقدّم أدوارد سعيد مثالاً معبّراً عن أشكال التغيير والتحوير الذي تتعرّض له النظرية حين انتقالها من سياق ثقافي إلى آخر مختلف في نصّه الموسوم بـ«ترحال النظرية»، ونعني بذلك التحوير الذي ستعرفه مثلاً نظرية لوكاتش عن التشيّؤ كما صاغها في كتابه «التاريخ والوعي الطبقي»، مع لوسيان غولدمان في كتابه «الإله المخفي»، وسيكتب سعيد موضّحاً: «وبينما نجد الوعي الطبقي لدى لوكاتش وعياً يتحدّى، لا بل يتمرّد حقّاً على النظام الرأسمالي، فإن النظرة المأساوية لدى غولدمان تجد تعبيرها التام، والمطلق، في أعمال باسكال وراسين». ويردف: «ومع ذلك، فالحقيقة هي أن تكييف غولدمان لآراء لوكاتش يسحب من النظرية دورها «العصياني»».

إنّ قدر الأفكار أن تتغيّر وهي تعبر إلى الضفّة الأخرى، كما تتغيّر أفكار الناس وتصوُّراتهم حين خروجهم للعيش في بيئة أخرى، وسواء طلبوا ذلك أم لم يطلبوه، وقد يضطرّون للعيش على هامش المجتمع الجديد. إن استمرّوا في الإيمان بدوغمائية بأفكارهم التي حملوها معهم من سياق المنشأ، وقد تتحوّل تلك الأفكار إلى موضوع لتندّر وسائل الإعلام الجماهيرية، وتزيد وضع أصحابها سوءاً وهامشية.

وفي الواقع، فإن كلمات ماركس عن المفكّرين الألمان عابرة للسياقات، فسوء الفهم هو سيّد الكلمة فيما يتعلّق بالحركة الدولية للأفكار، وبعدم حركيتها أيضاً، ولكن لربما قد نحتاج في علاقتنا بالأفكار الأجنبية إلى ما يُسمّى بـ سوء الفهم أكثر منه إلى فهم يطلب أن يكون نسخة طبق الأصل فيسقط في الكاريكاتيرية. لقد تلقّينا أفكاراً غربية متعدّدة في سياقنا العربي بدون سياقها، وكلّما طلبنا التماهي معها كما هي في سياقها، كان الثمن الذي توجَّب دفعه هو الخروج من سياقنا، وبلغة أخرى، اغتربنا عن سياقنا ونبضه ولغته. فمن يتحدّث عن التغريب في الفكر العربي لم يحد عن الصواب، حتى وإن لم يستطع تقديم تعريف مقنع للتغريب، إذ ظلّ التغريب بالنسبة له مرتبطاً بالدفاع عن أفكار غربية. لكن هل يكفي هكذا تعريف؟

كلّما استعملنا الأفكار الغربية وعمدنا إلى تبيئتها من أجل مواجهة أسئلة الواقع وليس من أجل الدفاع عن مواقع أيديولوجية، إلا واضحت هذه الأفكار أقرب إلى سياقنا من سياقها، بل وتحوّلت إلى أفكارنا الخاصة بنا. ولا يمكننا أن نتحدّث عن عملية تلقٍّ منتجة وخلّاقة ومتحرّرة في أن وغير متغرّبة، دون ما نسمّيه الترجمة الاجتماعية للفكر وللفكر الغربي خصوصاً، أو للفكر النقدي في الغرب.

ما تتوجّب الإشارة إليه هنا، هو أن ما يسمّيه بورديو بسوء الفهم وينظر إليه نظرة سلبية، لا يتوجب علينا بالضرورة أن نفهمه بالطريقة نفسها. أجل إن سياق التلقّي يسيء فهم الأفكار التي يتلقّاها من سياق آخر، وماركس كان واضحاً في الحديث عن ذلك. لكن لربما تحتاج النصوص لسوء فهم لتعرف ولادة جديدة ولتدخل في استعمالات جديدة، فالترجمة الاجتماعية، كل ترجمة، هي دوماً خائنة. دعونا أقدّم مثالاً هنا: كيف استُعملت التفكيكية في السياق العربي؟ لنأخذ مسألة الدين.. ستتوقف تفكيكية دريدا عند ما توقّف عنده النقد الحداثي للدين لا أكثر، وهي ترى أن الأديان التوحيدية ومنها الإسلام تؤسّس للأخوانية، أو منطق الأخوة. ما تخطئ السبيل إليه التفكيكية هنا، أو تفكيكية دريدا، هو أن الدين يؤسّس لأشكال أخرى من العلاقات الإنسانية كالجوار مثلاً، والتي تقوم ضدّ فكرة الأخوانية. ويمكن العودة هنا إلى ما كتبه هرمان كوهين عن الجار في اليهودية، أو إلى النص القرآني نفسه الذي يعترف بحق الجار غير المسلم، حتى وإن كان الفقه سيأتي ليضع ذلك الجار في مرتبة أقلّ من مرتبة الجار المسلم.

لكن هل يعني هذا أن التفكيكية لاغية، بأننا لا نحتاجها في سياق مثل السياق العربي الذي يحكمه منطق الشبيه، طبعاً لا، ولكن لربما يتوجّب على التفكيكية في سياقنا أن تبدأ أوّلاً بتفكيك الخطاب القائم حول الإسلام في الشرق والغرب، وعلاقة التديُّن الإسلامي الحالي بواقع التخلّف.

(كاتب وأستاذ فلسفة من المغرب)

سجناء موقف استقطابي يتحرّك بين مفهومَي التغريب والاصالة

لا نترجم ما يحتاجه سياقنا بل ما تسوّق له الموضة

«مناظير المواجهة» لـ ابو زيدون حنوش، 89 × 116 سم، مواد مختلطة على قماش

معرفة ميتة

في محاضرته «الشروط الاجتماعية للحركة الدولية للأفكار»، دافع عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو (الصورة) عمّا سمّاه «السياسة الواقعية للعقل»، معتبراً أنّ تشوّهات النصوص تُصبح أكثر احتمالاً كلّما ازداد الجهل بالسياق الاصلي. لكن، صحيحٌ أنّ المعرفة بالسياق الاصلي تكفي وحدها للإحاطة العلمية بالأفكار الاجنبية، لكنها تظلّ معرفة ميتة ما لم تُحط بالشروط الاجتماعية المنتجة لحقل الاستقبال والتلقّي.

مجلة

بعد عقدين من صدورها بالإنكليزية

بانيبال بالإسبانية

بعد أكثر من عقدين، كرّست المجلة أعدادها لإطلاع المتلقي الأنغلوفوني على آداب الثقافة العربية المعاصرة، تتوّجه اليوم الى قرّاء الإسبانية

مدريد ـ **العربي الجديد**

في صيف عام 1997، أسّس الزوجان الكاتب العراقي صموئيل شمعون والناشرة البريطانية مارغريت أوبانك مجلة «بانيبال» ليصدرا العدد الأول في شباط/ فبراير من السنة التالية في لندن، في محاولة للردّ على تهميش الكتّاب العرب نتيجة الشحّ في ترجمة نصوصهم إلى اللغة الإنكليزية.

وخلال أكثر من عقدين، كرّست المطبوعة أعدادها من أجل لفت الأنظار إلى القضايا والظواهر والموضوعات التي تشغل الثقافة العربية المعاصرة، واطلاع المتلقي في العالم الأنغلوفوني على تجارب لمبدعين من اثنين وعشرين بلداً عربياً وفي المهجر، واليوم تتوجه إلى قرّاء الإسبانية في عدد أول لربيع عام 2020 فيما أعلنت المجلة عن صدور العدد الثاني (عدد الصيف) قبل أيام قليلة.

وكان العدد «صفر» قد صدر السنة الماضية، وضمّ ملفاً عن الشاعر العراقي سركون بولص (1944 – 2007)، ومراجعات نقدية لكتب العربية مثل «قارب إلى ليسبوس» للشاعر السوري نوري الجراح، و«في غرفة العنكبوت» للكاتب المصري محمد عبد النبي، وترجمات نصوص قصصية للكاتبَيْن العراقيين محسن الرملي، والتونسي حسونة المصباحي وآخرين، وثلاث قصائد للشاعر المصري ياسر عبد اللطيف، وقصيدتين للشاعر اللبناني شوقي بزيع وغيرها.

المجلّة التي تأخذ اسمها من الإمبراطور الآشوري آشوربانيبال (668-627 قبل الميلاد)، مؤسّس أول مكتبة في العالم، تشير أوبانك في افتتاحيتها إلى أن أسباب صدورها تكمن بأن «الأدب العربي جزء أساسي من الثقافة العالمية والحضارة الإنسانية، وأنه يعمل على تعميق الحوار بين الثقافات، وذلك الفرح والعاطفة اللذان تنتجهما قراءة قصيدة جميلة ونص إبداعي».

أعيد نشر بعض المواد التي تضمّنها العدد صفر، منها عشرون قصيدة لسركون بولص، لكننا نجد نصوصاً أخرى منها فصل من رواية «عراقي في باريس» (2005) لصموئيل شمعون التي يتكئ فيها على سيرته الذاتية منذ ترك العراق نهاية سبعينيات القرن الماضي وخروجه إلى سورية فلبنان ثم إلى أوروبا، بترجمة إيغانسيو غوتييريز دي تيران.

يحتوي العدد أيضاً مقالاً للكاتبة الأردنية كفى الزعبي تحدّثت فيه عن علاقتها المبكرة بالأدب وتأثيراته الرئيسية على حياتها وكتابتها، وتقول فيه: «أعتقد أن الأدب، فوق الصحافة، ووسائل الإعلام وحتى الواقع نفسه، هو أداة المعرفة التي جعلتني أفهم حياة الشعب الروسي»، في إشارة إلى دراستها الجامعية في موسكو حيث شكّلت الروسية لغتها الثانية، ونصاً بعنوان «شاريا مردخاي وقطط زوجته» للقاص الفلسطيني محمود شقير يكشف عن سخرية سوداء تميّز كتاباته حول ضابط في جيش الاحتلال الإسرائيلي يقف عند حاجز التفتيش.

إلى جانب قصة «الجثة» للكاتبة العراقية سالمة صالح صاحبة رواية «زهرة الأنبياء - طفولة في مدينة عراقية» (1994) التي حملت نبوءتها بزوال المدينة القديمة في الموصل، وكان ذلك بعد خمسة وعشرين عاماً، وهي تسرد طفولتها التي عاشتها فيها.

كما تنشر إلى جانب قصائد للشاعرة السورية رشا عمران بعنوان «المرأة التي سكنت البيت قبلي» بترجمة بيلار غارييدو كليمنته، وقصة قصيرة للكاتب المغربي الهولندي عبد القادر بن علي، بعنوان «انظر إلى المريخ من مراكش» الذي ترجمها عن الهولندية غيرمو بريث، وقصة أخرى بعنوان «طريق العجائب» للكاتبة التونسية رشيدة الشارني بترجمة ألبارو ألبايا فيّار.

هل من الممكن فهم الفلسفة من خلال التصوير الفوتوغرافي أو العكس؟ سؤال يطرحه الكاتب الكندي اللبناني راوي حاج في مقال بعنوان «الكلاب الضالّة» يتأمل فيه كلا الموضوعين، وترجمه عن الإنكليزية لإيستير هرنانديز، بالإضافة إلى فصل من رواية «الجسر والوطن» للكاتبة المغربية حنان درقاوي بترجمة كريمة حجاج، وسبع قصائد للشاعر الغماني سيف الرحبي بترجمة ماريا لويسا بييرتو وأحمد يماني. وقد نفّذ رسوم الغلاف الفنان العراقي الإسباني أبو زيدون حنوش (1958).

أعلنت بانيبال عن صدور عددها الثاني بالإسبانية قبل أيام

محررا بانيبال مارغريت اوبانك وصموئيل شمعون

متابعة

أود لو أكون شجرة الفن يرمّم البيوت

عبد القادري ثمانون رسمة وجداريتان

مبادرة تشكيلية يشترك فيها الفنان اللبناني مع «خاليري تانيت» لترميم مئة منزل هي الأكثر تضرّراً من الانفجار الذي هزّ مرفأ بيروت قبل شهر

بيروت - **العربي الجديد**

«أودّ اليوم أن أكون شجرة»، عنوان اختاره الفنان اللبناني عبد القادري لمشروع جديد بالشراكة مع «غاليري تانيت» الذي تعرّض لدمار إثر انفجار مرفأ بيروت وراح ضحيته المعماري اللبناني الفرنسي جان مارك يونفيس (1963 - 2020)، مصمّم المبنى الذي يقع فيه الغاليري. تضم مبادرة القادري جداريتَين كل واحدة تتكوّن من ثمانين رسماً على الكرتون، وتُعرض الرسومات للبيع بهدف المساهمة في مشروع «جمعية بسمة للتنمية الاجتماعية»، التي أطلقت برنامج ترميم المنازل المتضرّرة لإعادة تأهيل مئة بيت لحق به الدمار جراء الانفجار.

في بيان لهم، يقول القائمون على المشروع: «تأتي مبادرة «أودّ اليوم أن أكون شجرة» لتشكّل موقفاً مواجهاً للدمار الذي خلّفه داخلنا انفجار مرفأ بيروت. وتكريمًا لصدیقنا الراحل يونفيس، ومساهمة في إعادة بناء وترميم المنازل المتضررة»، حيث يتواصل عرض الأعمال التي يحتضنها «غاليري تانيت» حتى 25 أيلول/ سبتمبر الجاري. يقول القادري إنه تصوّر المشروع «كردّ فعل بناء ضد الشعور بالاختناق، سواء كان ذلك الاختناق بسبب الوباء، والوضع الاقتصادي/ السياسي في لبنان، أو جرّاء أكبر انفجار غير نووي في العالم. عند محاولتي رصد الألم الذي يحيط بي، لطالما راودتني فكرة متكررة: تمنّيتُ لو أكون شجرة».

ويضيف: «ربما تكونُ الشجرة أنيسة، وربما هي ترياق. إنها تحمي، وعلى الرغم من ارتجافها عند الدمار فإنّ جذورها تعانق الأرض التي وُلِدت فيها وانبثقت عنها، في أنشوطة حياة قوية ومتبادلة. إن المناظر الطبيعية من الأشجار - الهادئة والثابتة - تقفُ كقوة مضادة للصدمات الكبرى التي أحدثت بدورها فسادًا عارمًا. تصمد الشجرة، وبصمودها واقفةً، تشفي. أمنيتي أن أكون شجرة. تتردد في خاطري رغبةٌ في استنهاض القوة التي يمدّورها رَتَقُ فجوة الضّرر». ويكمل: «ستتحول جدران تانيت إلى لوحاتٍ من المشهد الطبيعي. الجدران ستستضيف رسوم الأشجار الساهقة في معرض أصبح الآن مساحة مفتوحة لإنشاء جداريتَين مقسمتَين إلى ثمانين لوحة مصغّرة من الورق المقوى. سارسم أشجار بيروت، أشجاري الحالمة، أشجار الصمود والتغيير. سيتم بعد ذلك بيع الأعمال وسيُضاف مجموع العائدات إلى صندوق إغاثة خصّصته جمعية بسمة للمساعدة في إعادة بناء وترميم منازل بيروت لمن فقدوها ولمن هُم في أمس الحاجة إليها». ويوضح: «العمل هو في المقام الأول تكريم لذكرى الصديق جان مارك يونفيس الذي كان لهُ دورٌ خلّاق ومحوريّ في إحياء تراث لبنان، وبناء معالم مبتكرة ومعاصرة لبيروت الحبيبة، كما أنه تكريم لجميع الأشخاص والأصدقاء الذين وقعوا ضحية هذه المجزرة».

يختم القادري حديثه عن المبادرة بالقول: «لقد تركنا الانفجار مكسورين، في حداد على خسائرنا من الأحبة، إلى الأماكن المحفورة في ذاكرتنا، إلى بيروت العزيزة كما نعرفها. الأمر الأكثر صعوبة هو كيف بادَ هذا الحادث المروّع، في غضون ثوانٍ، أحلامَ وطن برمّته. لذا، وكما شهدنا عاصمتنا تتحوّل إلى ركام، فإنني اليوم أودُّ لو أكونَ شجرة تنتصب في وجه الحطام».

المناظر الطبيعية من الأشجار تقف كقوة مضادة للصدمات الكبرى

عبد القادري امام إحدى الجداريتين

شذرات

حدّثت ريحانة قالت: جاءني يوماً ابو هريرة فقال: اني راحل عنك. فقلت: واي السبل اخترتَ لي؟ فقال: العقبة يا ريحانة. قلت: وما الراحل بك؟ قال: كُره البيوت.

محمود المسعدي ـ من رواية «حدّث ابو هريرة قال»

لا يمكننا الفصل بين اية ثقافة وجغرافيتها، حيث إن الثقافة عملية تأسيس طويل لا يمكن ان تفرض مفردا تها - من الفن إلى طريقة الجلوس - ما لم يحدث تكرار وتركيز في نقطة واحدة. وحين تأتي ثقافة جديدة تحاول فرض مفرداتها الجديدة فهي ايضا في حاجة إلى مدة زمنية لتحقيق التكرار والتركيز.

يوري لوتمان (منظّر روسي) ـ «كوكب العلامات»

لدينا نزعة في الاعتقاد بان مشاعرنا تجاه الآخرين لا تتغيّر. بعض هذه المشاعر نعتقد باننا نحن المسؤولون عنها بغضّ النظر عن الطرف المقابل، كان نقول لا يمكن ان نكره شخصا او نحتقره. كلها ادعاءات، فيما تتغيّر المشاعر باستمرار.

غواد الوبي نيتيل (كاتبة مكسيكية) ـ من رواية «بعد الشتاء»

كان في حديقة ابي قفصان: وكان في احدهما اسد احضره عبيدُ ابي من براري نينوى، وفي الثاني زرزور غرّيد لا يمل الإنشاد. وكان الزرزور يأتي في كل فجر إلى الاسد فيحييه قائلا له: «عم صباحا يا اخي السجين!».

جبران خليل جبران ـ «المجنون»، ترجمة: انطونيوس بشير